

## مناهج منسية عند أهل الحديث! - الجزء الأول

### مناهج منسية عند أهل الحديث!

#### الجزء الأول

اشتد الصراع بين الثقافة القرآنية والثقافة الحديثية في عصرنا؛ وأصبح القرآنيون وأهل الحديث على طرفي نقيض؛ فلماذا؟ من أهم الأسباب:

١ - إهمال أهل الحديث لمناهج علمية فوق منهجهم (مصطلح الحديث وعلوم الجرح والتعديل والرجال)؛ وأولى منه. فما هي تلك المناهج؟

أهل الحديث أهملوا الثقافة القرآنية وأثر السياسة والمذهب والذاتية على تقييم ثقافة الحديث ورجال الحديث؛ فكانت النتيجة ما نراه اليوم من صراع. سألنا الموضوع ونسأل:

س ١ كيف يعرف أهل الحديث أن هذا الرجل ثقة وذاك ضعيف وذاك الثالث كذاب الخ؟  
الجواب: بالعودة لأقوال أهل الجرح والتعديل.

س ٢ : وكيف نعرف أن ذلك المحدث قد أصاب في قوله (فلان ثقة؛ أو فلان ضعيف)؟!

ج ٢ يتوقف أهل الحديث هنا عن الجواب العلمي؛ ويبقون في الدعاية فقط.  
اعني؛ يقولون بأن أهل الحديث هم أهل الثقة والأمانة والعبادة وتقوى الله؛ فلا يتطرق إليهم الشك إذا حكموا على فلان أو فلان الخ.

وهذا جواب ضعيف؛ وضعف الجواب السابق يتبين من خلال أمور:

الأول: أن أهل الحديث اختلفوا في كثير من الرجال؛ فمنهم من يوثق شخصاً ومنهم من يضعفه.  
ثانياً: هذا الاختلاف في التوثيق أو التضعيف في عدد كبير من الرواة يؤكد بأن الحكم على الراوي حكم ثقافي - أي وفق ثقافة الشخص - وليس علمياً؛ فالعلم لا يتناقض؛ العلم علم؛ يوصل أصحابه لنتيجة واحدة؛ إما ضعيف أو ثقة؛ أو وسط الخ؛ ولكن الحكم تابع لثقافة من يحكم به؛ فذلك تختلف النتائج.

أيضاً؛ فهذه الدعاية لأهل الحديث؛ بأنهم يطعنون لله ويوثقون لله؛ وأنه لا أثر فيهم لسياسة ولا مذهب ولا خصومة الخ؛ دعاية انشائية غير علمية؛ وأهل الحديث يعترفون بالأثر الشخصي والمذهبي والسياسي والاجتماعي والثقافي إذا تعرضوا لجرح؛ كتضعيف الذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم البخاري مثلاً؛ فهنا يضطرون أن يقولوا بأن البخاري حسده الذهلي وأصحابه؛ أو أنهم ضعفوه للمذهب - اختلافهم معه في مسألة اللفظ - وهكذا. والسؤال؛ لماذا هو فقط؟  
بمعنى؛ لماذا الذهلي وأصحابه ضعفوا البخاري تضعيف شخصي (حسد) أو تضعيف مذهبي (مسألة اللفظ) بينما هم مع غيره مبرءون من الأثر المذهبي والشخصي؟ ثم العلمية والموضوعية سيرجحان أن يكون الدافع الشخصي والمذهبي في تضعيف أبي حنيفة من قبل أهل الحديث أكثر فاعلية منه في تضعيف الذهلي للبخاري؛ ثم تضعيف شخصيات الفرق المخالفة - بالتالي - أحاديثهم سيكون الدافع المذهبي الثقافي - لا العلمي - أكثر حضوراً وفاعلية.

إذا؛ فالانتباه لهذه العوامل الشخصية والمذهبية من واجب رجل الجرح والتعديل؛ إلا أنهم؛ للأسف؛ يهملون مراقبة هذه العوامل وأثرها في الحكم.

سنكمل الموضوع في وقت لاحق؛ ونبين أن أهل الحديث - في الغالب الأعم - يحكمون بناء على عوامل المذهب والثقافة السائدة وليس وفق معايير علمية؛ مثل اليوم تماماً؛ فهم يقولون عن خصمهم كذاب ولو كان صادقاً؛ ويتقارضون الثناء فيما بينهم ولو كانوا خائنين للعلم؛ بتدليس أو إخفاء أو تحريف؛ وهذا لا يعني أن أهل الحديث سواء؛ ففيهم المنصف المجتهد - وقد لا يخلو من أثر الثقافة - كشعبة؛ ومنهم المتمذهب الكامل كالذهلي؛ لكن الأخير غالب .  
والتعميم صفة جاهلة ورتناها من صفات أهل الحديث؛ فهم لا يفصلون ولا يستثنون؛ وإنما يطلقون الثناء على أنفسهم بعموم ويذمون غيرهم بعموم ويكتمون؛ ولذلك؛ نؤكد هنا على أننا لا نعمم؛ ولكن غلاة أهل الحديث غلبوا على اعتدال المعتدلين؛ وهم اليوم أكثر غلواً بلا شك؛ فلا يأخذون إلا من أنفسهم.

بمعنى؛ كان في أهل الحديث من يأخذ عن غيرهم؛ كالشيعية مثلاً؛ ويفصلون بين مذهب الراوي والحكم عليه؛ أما اليوم؛ فيستحيل أن يقولوا عن شيعي أنه ثقة؛ فما كان من اعتدال عند شعبة مثلاً؛ نقص عن تلاميذه؛ كوكيع وابن مهدي والقطان؛ ثم تلاميذهم؛ كابن المديني وأحمد؛ ثم تلاميذهم؛ كالذهلي؛ وهكذا.

واليوم نجد أن غلبة وظهور متطرفي أهل الحديث وجهلتهم على معتدليهم وعقلانهم أكثر وضوحاً من أي زمن مضى؛

لعوامل عديدة ليس هنا مجال ذكرها؛ سنفصل في حلقات قادمة عن المناهج التي أهملها أهل الحديث؛ وسكت عنها خصومهم اتقاءً لشهرهم؛ حتى أوصلوا أهل الإسلام إلى هذه العداوات المستحكمة.

## مناهج منسية عند أهل الحديث! - الجزء الثاني

### مناهج منسية عند أهل الحديث! الجزء الثاني

**فألصلا؛ كتاب ضمنه أهل الحديث في تصنيفاتهم الحديثية؛ ورووا فيه تفاصيل التفاصيل؛  
لدرجة التناقض؛ إلا أنهم أهملوا أهم ثلاث مسائل ذكرها القرآن!**

قبل أن نعرف الحديث ؛ صحيح أم ضعيف؛ أو هذا الراوي ثقة أم ضعيف؛ هناك ما هو أهم من ذلك؛ لكنه منسي. الأهم من ذلك معرفة القواعد الحاكمة على التصحيح والتضعيف؛ والتوثيق والتجريح؛ بمعنى؛ على أي أساس تمّ هذا كله؟! وهذا يستوجب مراقبة الأثر السياسي والمذهبي والنوازع الشخصية الذاتية؛ وأثر الثقافة السائدة؛ فالناس أعداء ما جهلوا؛ من منهج أو مذهب أو فكرة؛ فلو أن أهل الحديث حاكموا الثقافة الحديثية إلى القرآن مثلاً؛ لتركوا كثيراً من الأحاديث؛ وضعفوا كثيراً من الموثقين عندهم؛ ووثقوا كثيراً من الضعفاء. وكذلك بقية القواعد الحاكمة؛ من العقل والوعي التاريخي (ومنها ثقافة أهل الكتاب؛ من جبر وارجاء وتشبيه التي دشنت عبر الأحاديث) وغير ذلك؛ فمثلاً؛ نجد الرجل من أهل الحديث يوثق فلاناً إذا روى ما تعرفه الثقافة السائدة؛ ويضعف فلاناً إذا روى ما يخالف الثقافة السائدة؛ هذا هو الغالب. وحتى الذين اعتمدوا سبر أحاديث الراوي - كابن عدي مثلاً - فهو يحكم على مروياته وفق الثقافة الروائية السائدة؛ وليس وفق ثقافة القرآن مثلاً؛ وإذا كان هذا القصور يلزم من يوثق الراوي أو يضعفه بعد سبر أحاديثه - والسبر منهج متقدم - فكيف بمن اكتفى بتقليد غيره توثيقاً وتجريحاً؟ وكيف بمن حكم نوازعه الشخصية والمذهبية في توثيق الضعيف وتضعيف الثقة أو تبديعه أو تكفيره؛ كما هو حاصل اليوم؟!

فأهل الحديث غالباً مثل هؤلاء؛ فالثقة عندهم من وافقهم ولو في باطل؛ والكذاب عندهم من خالفهم ولو بحق! هذا هو المنهج العام الذي سار عليه أكثر أهل الحديث؛ ولا تنتظر اعترافهم.

نعم؛ حاول بعض أهل الحديث أن يغيّر السائد ويرمم النقص؛ ولكنهم تعرضوا لحملات شديدة من التيار العام؛ وتم وصمهم بالبدعة والضلالة وبعضهم بالكذب.

من حيث الثقافة؛ أهمل أهل الحديث كل غايات القرآن؛ من حيث التبويب؛ فلن تجد باباً للشكر أو التقوى أو الرشد أو العقل أو العدل أو التفكير الخ؛ معظم تبويبات أهل الحديث؛ إن لم تكن كلها؛ هي إما في أمور أقل من الغايات؛ أو لا يكون عرضها للباب أو الموضوع ناقصاً مشوهاً. هل أضرب مثلاً؟

لن نذكر غايات القرآن التي لم يجعلها أهل الحديث كتباً ولا أبواباً؛ وإنما سنذكر كتاباً من أهم ما ضمنوه مصنفاتهم؛ وهو كتاب الصلاة كمثال فقط؛ فالصلاة؛ كتاب ضمنه أهل الحديث في تصنيفاتهم الحديثية؛ ورووا فيه تفاصيل التفاصيل؛ لدرجة التناقض؛ إلا أنهم أهملوا أهم ثلاث مسائل ذكرها القرآن؛ المسائل الثلاث التي أهملها أهل الحديث في موضوع الصلاة:

١ غاية الصلاة = الذكر.

٢ وظيفة الصلاة = النهي عن الفحشاء والمنكر.

٣ لب الصلاة = الخشوع.

وأهل الفقه تبعوا أهل الحديث؛ فكتبوا في أركان الصلاة وواجباتها وسننها ومبطلاتها وشروطها الخ؛ لكنهم لم يتحدثوا عن غايتها ولا وظيفتها ولا لبها؛ لم نسمع عن شيء اسمه غاية الصلاة - أي الهدف منها - ولو سألت عالماً أو عامياً لماذا تصلي؟

لأجابه بجواب انشائي اعتباطي؛ مع أن الله قد ذكر غايتها؛ فقال تعالى (وأقم الصلاة لذكري)؛ فهذه هي الغاية من الصلاة؛ ولكن لا أحد يعرف ماذا يعني ذكر الله أيضاً!

واقصد المعنى القرآني لا الانشائي؛ فذكر الله يعني تذكره؛ ولا يعني التلفظ بالتسبيح والتلهيل والتكبير؛ فهذا ليس معنى الذكر قرآنياً؛ إنما (واذكر ربك في نفسك)؛ أي تذكره في نفسك.

وهكذا؛ نحن تبع الثقافة الحديثية لا الثقافة القرآنية؛ ونحن من اربعة عشر قرناً لا نعرف الغاية من الصلاة؛ وهي أعظم من الأركان والواجبات والسنن؛ وسبب جهلنا بالغاية من الصلاة؛ هو قلة ثقتنا بالقرآن الكريم؛ فلا نغرم به غرامنا بالحديث؛ ولا نثق بما ذكره الله إن لم يروه أهل الحديث؛ بمعنى؛ لو أن الآية السابقة (وأقم الصلاة لذكرى) مجرد حديث رواه أبو داود أو الترمذي بسند حسن؛ لعرفنا غاية الصلاة؛ لكن إنما ذكرها الله فقط! عدم ثقة المسلمين في القرآن قضية معقدة يصعب شرحها؛ ولها أسبابها الشيطانية والنفاقية والسياسية والمذهبية؛ كل هذه العوامل قللت الثقة بالقرآن .

إذا؛ كان الواجب على أهل الحديث -لو كانوا يمتلكون الثقافة القرآنية - أن يجعلوا أول باب من أبواب الصلاة هو غاية الصلاة؛ ثم سيدلهم على ما يشبهه.

لو سألنا الطلاب أو الفقهاء أو العامة سؤالاً: لماذا تصلي؟ لسمعت ألف جواب؛ ولكن لن تجد بينهم من يقول: أصلي لذكر الله؛ أي حتى أتذكر الله أكثر!

هذا اللهاث خلف الحديث والرواية والكتب المنافسة للقرآن أصبحت فتنة مستحكمة؛ لن يكون لها حل ولا نهاية؛ لأن الغرام بالحديث بلغ حد السكر؛ لذلك؛ نحن نصلي بلا معرفة للغاية؛ فكانت صلاتنا بلا غاية؛ كالجسد بلا رأس؛ لذلك من الطبيعي ألا تؤدي الصلاة وظيفتها في الفرد والمجتمع والأمة؛ بل قد تجد أكثر الناس صلاة من أكثر الناس اهمالاً لتذكر الله؛ وأكثرهم تذكراً للبشر وأجرأهم على الموبقات؛ من كذب وكبر وإفساد في الأرض الخ.

أما كيف تم هذا؛ فهو نتيجة طبيعية تراكمية لعدة استخفافات بما حذرنا الله منه؛ من عداوة الشيطان إلى هجر القرآن إلى تعطيل نعمة التدبر الخ .

## مناهج منسية عند أهل الحديث! - الجزء الثالث

### مناهج منسية عند أهل الحديث!

#### الجزء الثالث

الأمم الأخرى تجاوزت تخلفها وتطورت؛ لأنها تدرس ثقافتها الموروثة وتدرس المؤثرات فيها؛ فتستبعد الثقافة المزيقة؛ وتعمق الثقافة الأصيلة؛ ولكن المسلمين صنعوا لهم آلهة؛ تحرمهم من معرفة الثقافة الأصيلة؛ وتمنعهم من تناول الرموز التي افسدت عليهم دينهم وديناهم..

اختاروا الأرباب!

ذكرنا أن إهمال أهل الحديث للثقافة القرآنية - تبعاً للثقافة السائدة في عصرهم - انعكس على الحديث نفسه؛ لذلك تجد للقرآن وادياً وللحديث وادياً آخر؛ سواء فيما أهمله أهل الحديث من أحاديث غايات القرآن؛ أو لم تصلهم؛ أو في ما وصلهم من وسائل وتفاصيل. وقلنا بأن هجرهم للقرآن وثقافته وغاياته ليسوا هم المتسببين فيه؛ وإنما اتبعوا الثقافة السائدة التي تشكلت عبر السلطات والمجتمع والمذاهب؛ فأصبح جرحهم وتعديلهم وتصحيحهم وتضعيفهم وانتقائهم للحديث تحتاج لإعادة نظر وتحكيم المناهج المنسية التي أهملوها لجهل أو اضطرار.

نعم؛ أهل الحديث ليسوا سواء؛ نعم للاستفادة مما انتجه أهل الحديث؛ نعم للاعتذار عنهم باعتدال؛ نعم لنقدمهم باعتدال؛ ولا تزر وزارة وزر أخرى.

أهل الحديث تعبوا في طلب الحديث؛ ورحلوا؛ وانتجوا؛ وظنوا أنهم أهدى الأمة؛ وخطئوا في ذلك؛ فليسوا أهدى الناس؛ إنما أهداهم قد بينه الله في كتابه؛ أهدى الناس موصوفون في القرآن بغير هذا؛ والله أعلم بالمهتدين.

الأهدى يجب معرفته من القرآن؛ وقد تحدث القرآن عن الهداية وخصالها؛ ولم نجد منها الرحلة في طلب الحديث؛ ولا تتبع العوالي؛ ولا جمع حديث الزهري؛

ولو نحاكم أهل الحديث لآية واحدة من الآيات التي تصف الهداية؛ لكانت عليهم لا لهم؛ بل على الأمة كلها؛ لأنها تبعت منهجهم في الاعراض عن القرآن.

خذوا هذه الآية مثلاً؛ واعرفوا أن من علامات المهتدين أنهم لا يصدفون عن آيات الله؛ ثم قارنوها بأهل الحديث وانتاجهم: **﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156)﴾** أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ

لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۖ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) {سورة الأنعام}

أهل الحديث لا نريد أن نظلمهم؛ فهم نتيجة لأسباب سابقة؛ ولكنهم أيضاً أسهموا في إشغال الناس عن كتاب الله والصدوف عن آياته؛ والله يسامحهم؛ أهل الحديث لم يتدبروا كتاب الله ليعرفوا منه خصال الهداية؛ وصفات المهتدين؛ لذلك أهملوا الأحاديث في غايات القرآن؛ وشوهوا سيرة النبي وسنته؛ وكل ما يطعن به الناس في الإسلام والنبي؛ حتى وصل مداه هذه الأيام؛ إنما يأخذونها من أهل الحديث؛ وما دونه من ثقافة السائد عن الإسلام والرسالة؛ والمسلمون - لأنهم تبع لأهل الحديث وما أنتجوه - لا يستطيعون الدفاع عن الإسلام ولا عن النبوة؛ لأنهم يرون أن انتاجهم حق لا شبهة فيه. كما أن خصومهم من القرآنيين لا يمتلكون منهجاً مقتنعاً في نقد منهجهم بعلم؛ وإنما يتهمونهم هكذا؛ دون غوص في تلك المناهج المنسية وأثرها عليهم.

وللقرآنيين نقد آخر؛ ليس هنا مجال بيانه؛ ولكن لعل من أبرزها مكابرتهم؛ بترك الحديث والسيرة جملة؛ مع أن كل عظيم لابد أن يثبت عنه أقوال وافعال؛ ومن عرف الحديث ورجاله وامتلك تلك المناهج المنسية؛ أمكنه معرفة ما صح منه وما لم يصح؛ وماز بين ذلك؛ ولكن بمنهج أخرى؛ غير معايير أهل الحديث.

أما من تعمق في الحديث ورجاله دون معرفة بتلك المناهج المنسية؛ فسيكون من أكثر الناس تطرفاً وبلادة؛ ويسيء إلى الدين عندما يتحدث باسمه؛ هذا واقع.

من أهم تلك المناهج المنسية:

- ١ - الإلمام بثقافة القرآن - وهذا موضوع كبير جداً.
  - ٢ - الوعي التاريخي - وخاصة بالسيرة وبيئتها وفناتها.
  - ٣ - العلم بالنفس البشرية وضعفها وإمكانية أن تخدع نفسها وتخادع الله وتظن أنها من المهتدين.
  - ٤ - العلم بتأثير ثقافة أهل الكتاب؛ وحلفهم القديم .
  - ٥ - العلم بالأثر السياسي الكبير؛ الذي انتج عسكرة الإسلام؛ وعمم ثقافة سلطانية جاهلة؛ اعلت من الرواية وهجرت القرآن وأنشأت المذاهب المتعددية.
  - ٦ - العلم بعدو بني آدم؛ وعدو الرسل والرسالات = الشيطان؛ ودراسة مشروعه؛ ومعرفة سبل مكروه؛ وما انتج هذا المكر من أولياء يظنون أنهم مهتدون.
  - ٧ - تصنيف معلومات القرآن وترتيبها ترتيباً قرآنياً إلهياً وليس ترتيباً بشرياً؛ فسوء ترتيب الواجبات والمحرمات لا يقل عن هجر القرآن كله.
  - ٨ - دراسة المنافقين والثقافة النفاقية وأثرها من أيام النبي (وفيكم سماعون لهم)؛ إلى أن تمددت واستولت على مراكز القوى والتأثير وحرقت الدين.
  - ٩ - دراسة الحالة الاجتماعية؛ وخاصة العامة وعلاقتهم بالثقافة؛ ودورهم في الضغط الثقافي نحو تسطيح المعرفة؛ والاهتمام بصغائر الأمور دون كبارها.
  - ١٠ - دراسة السلطة وسلوكها الثقافي من بعد وفاة النبي؛ إلى استحكامها في العهدين الأموي والعباسي؛ وتسجيل زحف الإسلام البشري على مواقع الإلهي.
- هذه المناهج - أو المعارف - منسية تماماً؛ رغم أهميتها ومحوريتها في فرز الثقافة؛ ولا يمكن لأهل الحديث أن ينتجوا ثقافة سليمة بدون إدراكها.
- الأمم الأخرى تجاوزت تخلفها وتطورت؛ لأنها تدرس ثقافتها الموروثة وتدرس المؤثرات فيها؛ فتستبعد الثقافة المزيفة؛ وتعمق الثقافة الأصيلة؛ ولكن المسلمين صنعوا لهم آلهة؛ تحرمهم من معرفة الثقافة الأصيلة؛ وتمنعهم من تناول الرموز التي افسدت عليهم دينهم ودنياهم .
- اختاروا الأرباب.
- الآلهة والشفعاء والشركاء والأنداد في القرآن الكريم لا تعني الأحجار والأخشاب؛ وإنما تعني أشخاصاً ورموزاً مضلين؛ ولهم قوانين معبودة أيضاً ! ومع ذلك بقي في المسلمين الخير إن شاء الله؛ ولا تزال طائفة منهم منصورين بالحجة والبرهان؛ يدعون لكتاب الله ويطالبون بتفعيله والاستضاءة به؛ ليست الطائفة المنصورة عسكر معاوية - كما يزعم ابن تيمية وسفر الحوالي - ولا أهل الحديث كما يظن أحمد بن حنبل؛ وإنما أهل القرآن وثقافته.
- سنكمل لاحقاً؛ لقاء الضوء على هذه المناهج المنسية؛ لعل الله يفتح بها؛ ويهيء لها من هو أقوى على إحكامها مني؛ فأنا في الأخير فرد ضعيف مذب.